

نصيحة الشايب النجدي لولي العهد السعودي؟

مهنا الحجيل



الأحد 15 سبتمبر 2019 09:44 ص

نصيحة الشايب النجدي لولي العهد السعودي؟

عندما يكون الموقف دونه السيف، فمن يُعَبَّر برأيه حراً أمام السيف المُصَلت؟

قائد شرطة دبي الأسبق تحول ولاؤه المطلق من دبي وأسرة المكتوم إلى ديوان ولي عهد أبوظبي!

تعيش الرياض مأزقا متعاطما خاصة حملتها الأمنية على التيار الديني والديمقراطي وعلاقات الأسرة الحاكمة.

تعزز موقف قطر وتصدّعت ملفات السعودية فقادتتها لهزيمة مذلة أمام أبوظبي في اليمن فرضت وأذعنت.

* * *

دار حوار مهم وقصير، في أحد مواسم حصاد تمور الأحساء في التسعينات، حيث تعيش البلاد زخم عيد النخلة، في أكبر واحة نخيل في العالم، مثلت رمزا حقيقيا للأحساء تحديداً، لتطابقها مع حضارتها الممتدة لأربع آلاف سنة.

وهي تتصل بالعهد الفينيقي الذي صمم نظام السقاية الزراعية، حتى توقف في العهد السعودي، بعد ضعف المياه الجوفية وحفريات أرامكو، التي لم تعوّض الأحساء حتى اليوم، رغم أنها استنزفت نبطها في حقل الغوار وضربت نخلها.

هذا الحوار كان بين أحد فلاحي الأحساء، مع الأمير سلطان بن عبد العزيز، ولي العهد السعودي الراحل، حيث جلب للأمير من مزرعته الشاسعة، المقتطعة من الأرض الزراعية في ناحية الهفوف، أجود حصيلة بذلك الموسم، وقد أعد إعداداً جيداً.

وكان منهما صنغان الأول خلاص الأحساء المشهور والغني عن التعريف، والذي قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم، قصده في قوله إنه خير تمر الأحساء حين أتى على أهلها وإيمانهم.

أما الثاني فهو نبوت سيف، وأصله بحسب الروايات الاجتماعية حيث المنشأ في هضبة نجد، هجين بين (طعامتين) بذر التمر، وله طعم حلو حاد، قد يُفضي إلى حرارة جوف.

وبجانبه طبق من تمر الخلاص، بحلاوته المعتدلة، ومهما أكل منه الجائع، أو الشَّبَع بكمية معقولة فلا تعافه النفس ولا يضيق به الجسد، وهذا معلوم بالتجربة والمفهوم، في ساحل الخليج العربي لدى البادية والحاضرة.

فالتفت الأمير إلى الفلاح الحاضر في المجلس، وكان المجلس مزدحماً بالشخصيات التي تُدعى حين يحضر الأمير في مزرعته، إضافة لوفده المرافق الضخم وسأله:

وش تقول يا بو محمد وشو أزين خلاص الحسا ولا نبوت سيف نجد، (ما هو الأفضل ثمرة الخلاص أم نبوت سيف؟)، ابتسم الفلاح وتأمّل ثم بادر بجواب مفحم:

يا الأمير ارفع السيف من النبتة أول!

ضحك الأمير وضحك المجلس، ولم يعد لسؤاله مطلقاً، فقد كان الجواب بياناً بليغاً في كلمتين.

لم تكن قضية الفلاح الأحسائي، أن الأمر في هذه المسألة مخيف، في أن يُعلن تفضيل خلاص الأحساء على نبوت سيف نجد، فقد كان هناك سعة في مثل هذه الحوارات الهامشية، خاصة أن المازحة القديمة قائمة بين المجتمعين، فأسرة الحكم تنتمي لأهل نجد، وأهل الأحساء بادية وحاضرة ينتمون إلى طرف الساحل.

لكنه استغل السؤال ليعطيه دلالة أعمق، إنها النبئة والموقف الذي دونه السيف، فمن يُعبّر برأيه حراً أمام السيف المُصّلت؟

تذكّرت هذه القصة وأنا أقرأ بيان وكالة الأنباء السعودية (واس) الطويل والمرتبك، وتكرار مهزلة مطالب الدول الأربع، للرد على الملف القانوني لقطر، الذي بدأ يتصاعد اليوم.

وإن كانت الدوحة تحركه بهدوء، خلافاً لخبطتها مع أبوظبي، ولا نستطيع أن نجزم بنهاية محددة مع الإمارات اليوم، وموقف الدولة في قطر، مما يمكن أن يطرأ من انقلاب خطاب وموقف، أعطى الشيخ محمد بن راشد المكتوم أول رسائله، ومن رد عليه؟

قائد شرطة دبي الأسبق نفسه، في إشارة لتحول الولاء المطلق، من إمارة دبي وأسرة المكتوم، إلى ديوان ولي عهد أبوظبي، وهي حكاية طويلة لا يسعنا تفصيلها اليوم.

غير أن الموقف جسّد عندي تصوراً آخر، بين بيان وكالة الأنباء السعودية (واس) وموقف الرياض التائه الحالي، الذي طلب تجديد الكويت لوساطتها.

ولا يوجد أدنى شك في فهم المأزق المتعاضم الذي تعيشه الرياض، داخلياً وخارجياً، خاصة في حملتها الأمنية على التيار الديني والديمقراطي، وعلاقات الأسرة الحاكمة الداخلية.

فماذا لو سأل ولي العهد شبيبة من أهل نجد بعد تأمينه:

وش السواة (ما لعمل) مع أهل قطر؟

في ظل تمكن الموقف القطري وتعززه، في مقابل تصدّع الملفات السعودية، التي قادتها لهزيمة مذلة أمام مشروع أبوظبي في اليمن، فرضت له، وأذعنت لقاعدة أبوظبي في الحرب، فرد الشايب الحكيم بكلمتين تكفيان لمن يفهم:

أهل قطر وشيخهم على الشداد، لكنهم من كل خير قريب!

* مهنا الحبييل كاتب عربي مستقل يكتب من كندا